الحضور والغياب في تضاريس جبل الدخان

تنامين فوق العباب حقولا ، وأطياف ذكرى حميمة .. تواريخ الف من السنوات لهاثا . تنامين ، يسكن فيك انفجار الزوابع . هذي قطاة تحط على وجنتيك ، لان الرياح عسيرة ..

وانت بدرب النزوح منارة ..
تلوحين ، يقطر منك التوجس ومضا ، ويلقاك في العرض والطول هجس البلاد العظيمة .

* * *

تغيبين ، طال انتظاري . فزعت ، وكانت جميع الجهات صديئـة ..

وكلمة نجواك كانت .. صديئة ..
تغير لون الدراري ببحر تدنس .. ضاعت نجوم ثلاث . وما زال يطمع حوت البحار العميقة .
جميع القوافل مرت بصمت ، وسرب اليمام الحزين تدلّه يشكو . أرى كل شيء تساقط .. هشا ، بدون عناء الرياح .. سريعا ، ولكن شفار النتوء المكينة ..
تلمّ شرار ارتطام الرياح ، وتقدح في الليل برق الرعود.
تمادى وحفّر فينا الغياب ، فقدنا التوازن ، هب يعرّي وكنت حضورا ملأنا به الذاكرة ..
مسكنا بكلتا يديك ، رأينا القشور تباعا ، ذهلنا ، وزدنا التصاقا .. ركبنا الرياح ، وكنا نريد التغير ، هات املئينا .

* * *

تغيبين ، طال انتظاري . وكاد الوقوف ينال .. وكدت وأعلم أنك حبلى ، وهذا زمان نطارد فيه ، يصادر حتى ابتسام الطفولة. يرقب.. يسمع كل جدار.. لان صغيرا أبى أن ينام . مواويل ضيم تهدهده بالتياع .. تدق على وجع ورّثوه . ابى ان ينام .
عصاة النواطير مدت، تطال عظام الذي في الضمير يبرعم لحنا ، ويهمس ان الصباح قريب ، ويطمح أفقا جديدا لكل صغار الطيور !

فأين الامان ؟!
تموتين ، لا . انها في لحاء الجذور حضور كمين يعمّق مد الفجاءة . تسكن فينا ، ونسكن فيها .

* * *

تفر المسافات نحوي، يراشق كل النوافذ غيث الرفاق، هنالك عطشى رمال الخصوبة .
على وهج الشمس عند الظهيرة ..
تنوء ، تئن ، وتنشقّ ــ نصفين ــ بذرة
فتبتسمين قليلا . أراك ، وأحيا التوهج ، افـرح ، لا استطيع
.. فأبكي . لعل النخيل رأتك انبثاقا خطيرا ، وانت هنا في الخليج .. تحلّين شعرك عند الشواطىء .. تغتسلين بماء الخليج وعطر الجباه الوضيئة ..
وتقتسمين الهموم رغيفا مع الكثرة الجائعة .

البحريـن

علي عبدالله خليفة